ويهنئوهُ فما كان أشدّ اندهاشهُ لما لم يلمح ابنه يوسف بين من حضر وهو في اشتياق حارّ الى ان يضمّهُ الى صدرهِ فسأل أين يوسف ؟ ولما نكّس الجميع رؤوسهم ولم ينطقوا بنت شفة صاح الاب للحبّ بصوتٍ أليم كأنّهُ ادرك ما حلّ بفلذة كبدهِ : ناشدتكم الله اخبروني أين يوسف . فاستدعاهُ السيد لور واخذهُ على حدةٍ واوقفهُ على حقيقة الحال والدكتور يردّد بصوت يقطعهُ الحزن : ولدي ولدي ... ومن لنا بوصف حالة ذلك الوالد المسكين لما دخل على ولده ومنتهى آمالهِ ووجدهُ على آخر رمقٍ من الحياة فاستطار فؤادهُ التياعاً واكبَّ على وجيده يوسف يقبّلهُ ويغسل جراحهُ بماء جفنيهِ وكان قد تفطّر فؤاد الحاضرين لذلك المشهد الفاجع فتقاطرت عبراتهم جميعاً وهتف شميت : اغفر ذنبي ولدي انا السبب في موتك واسمعني الكلمة الاخيرة من فيك اترى قد صفحتَ عني ... قال ثمّ اجهش بالبكاء فانقطع عن الكلام .....

اما يوسف فحرّك شفتيهِ كمن يحاول النطق فلم يقدر لكنهُ انحنى على والدهِ وقبّلهُ قبلة افادت ما طلب ... ثمّ سقط رأسه على صدرهِ واذا هو فارق الدنيا

وبعد بضعة ايّام استقال الدكتور شميت من خدمتهِ وقد ادّبتهُ حكمة ابنهِ ولحكمتهُ التجارب فاعتزل في إحدى القرى المنقطعة واقام فيها ليقضي باقي حياتهِ في الصلاة والعبادة وهو يعيد في ذاكرتهِ ما حدث لهُ فترتعد فرائصهُ من مجرّد ذكر يوسف وما قاساهُ بسبب ابنهِ الودود . وكان يتردّد الى ضريحهِ حيث كتب هاتين الكلمتين « مثال البرّ »

نصرانيّة غسّان

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تتمّة)

وهذه الكتابة العربيّة المسيحيّة اوّل كتابة وُجدت من عهد الجاهليّة بالحرف العربي كتبها في ايّام الملك المنذر الغسّاني (١ شرحبيل بن ظالم احد امراء غسّان سنة ٤٦٣ ليصرى الموافقة لسنة ٥٦٨ للمسيح (٢ . وقد وُجدت سنة ١٨٧٩ في زيد كاية

---

١) قد وقع غلط في العدد الاخير (ص ٥٣٥) س ٣) حيث قيل ان هذه الكتابة « هي للملك المنذر »

٢) اطلب Waddington: *Inscript. gr. et lat. de la Syrie*, n° 2464

أقدم منها بالعربيَّة والسريانيَّة واليونانيَّة. تاريخها سنة ٥١٢ للمسيح وهي الاثر الثاني بالحرف العربي قبل تاريخ الهجرة لا يُعرَف الى الآن غيرهما ومن العجب ان الاثرين لكتبة نصارى. وناهيك بذلك شاهدًا على امتداد النصرانيَّة بين العرب. أمَّا الآثار اليونانيَّة في بلاد غسَّان فلا تكاد تُحصى وقسمها الكبير بل الاكبر نصرانيّ محض وهي عبارة عن كتابات دينيَّة كبيع ومشاهد ومدافن وغير ذلك ممَّا يُرى في كلّ قرية او خربة وليس بين تلك الآثار كتابة تدلُّ على اليهودية بين الغسَّانيين

٦ ومن هذه الآثار القديمة اعلام الامكنة التي بقيت حتى اليوم كدليل ناطق على أتساع النصرانيَّة في منازل غسَّان لاسيما الصفا وحوران. فان عددًا دثرًا من اسماء الامكنة يُدعى في زماننا بالدير كدير الكهف ودير علي ودير قنّ عدَّدها الاثريُّون دي ڤوگوي ووادنتون ودوسُو وغيرهم

٧ ويضاف الى هذه الشواهد جداول المراكز الدينيَّة التي تدلّ على تعدُّد الاسقفيَّات في تلك الانحاء. فان مطران البصرى وحده كان يحكم على ٢٠ اسقفًا (١ وكان بعض هؤلاء الاساقفة يتنقلون مع القبائل الراعية فيكنون الخيم ولذلك يدعونهم اساقفة الخيم (ἐπίσκοποι τῶν παρεμβολῶν) وقد امضوا غير مرَّة اعمال المجامع بهذا الترقيم « فلان اسقف اهل الوبر » او « فلان اسقف القبائل الشرقيَّة المتحالفة » او « فلان اسقف العرب البادية » (٢. أفترى بيّنة أعظم من ذلك على انتشار النصرانيَّة بين الغسَّانيين

٨ ولمَّا اشتبت الحرب في اوائل الاسلام بين الروم وخالد بن الوليد كان مع الروم عدد من عرب النصارى يبلغهُ الكتبة الى مئة الف مقاتل (٣ كان قسم كبير منهم من بني غسان. ولن قيل ان هذا العدد مُبالغ فيهِ فيبقى دائمًا ان العرب المتنصرين كانوا قومًا يبلغون الالوف المؤلفة

أفتكفي هذه الحجج مناظرنا ليقرّ بصحَّة قولنا عن غسان انَّها كانت تدين بالنصرانيَّة

---

١) وجاء في بعثة دوسو الى بادية الشام (René Dussaud: *Mission dans les régions désertiques de la Syrie moyenne*, p. 77) انَّ عددها كان ٣٣

٢) اطلب مجموع اعمال المجامع (Labbe : IV, 83, 91, 268)

٣) راجع ما كتبهُ الياس النصيبي المؤرخ (Elias Nisib. *ap. Baethgen*, Fragm. 109)

ولو شئنا لعزّزنا هذه الادلّة بشواهد أُخرى من كتبة السريان كميخائيل الكبير وابن العبريّ ويوحنّا اسقف افسس ويوشع العمودي ونصوصهم توافق ما ذكرناهُ آنفاً. فكيف يستطيع الكاتب البغدادي ان ينسب كلامنا الى الغرض او التعصُّب . وان كان لا يقنع بما أوردنا فندعهُ وشأنهُ لعلَّهُ يجد غيرنا يرشدهُ الى الصواب

هذا ولا نريد بقولنا السابق عن نصرانيَّة غسان أنهم كانوا مستقيمي الرأي بعيدين عن البدع التي انتشرت في القرون السابقة للهجرة . كلَّا بل نعرف انَّ البدعة اليعقوبيَّة تمكنت فيهم ونكبت بكثيرين منهم عن جادَّة الحق . كما روى الامر كتبة ذلك العهد من يونان وسريان . وعليهِ لا صحَّة لقول الكاتب البغدادي في حثّنا في المجلَّة المصريَّة « ان حضرته (يريد ضعفنا) اذا اراد ان يزكّي نصرانيَّة شاعر برَّأ ساحتهُ من كلّ ما يمكن ان يقع على ثياب دينهِ ادنى غبار الّا ان ذلك كلّهُ اذا فات على عقول بعض القرَّا فلا يفوت على عقول الادباء لانهُ لا يشفي فيهم علَّة كما لا يروى منهم غلَّة »

لله درُّ الكاتب في تسطيرهِ هذه العبارات متهكماً أفيظنّ انَّ التهكُّم يقوم مقام الحجَّة . فهيهات ان تنظم كل النصارى في سلك القديسين ولكن لا يجوز ايضاً ان نخرج قوماً من حيّز النصارى مع ما لدينا من البيّنات في نصرانيَّتهم ولن وُجد في سيرتهم أُمور ملومة لا توافق تعاليم النصرانيَّة كالنسطوريَّة واليعقوبيَّة والاريوسيَّة

*

قد بقي ان ننقد ما اتى بهِ مناظرنا لينفي النصرانيَّة عن غسان وهذا قولهُ بالحرف :

« اما ان فريقاً منهم كان يدين بالوثنية فهو اشهر من ان يذكر فهذا الحارث الاكبر ابن ابي شمر الغساني الملقب بالاعرج وهو الذي اشتهر ملكهُ في ايام القياصرة فانهُ كان وثنياً قحاً ويتضح ذلك من انهُ اهدى سيفيهِ المعروف احدهما باسم رسوب والآخر باسم مخذم لبيت الصنم (عن الطبريّ ١ : ٦ : ١٧٠٦) وبيت السنم المذكور هو بيت مناة لأن غسان كانت تبعد هذا الصنم (عن معجم ياقوت في مادَّة مناة)

« وزد على ذلك انَّ ثلية غسان عند وقوفها عند صنمها كانت هذه : « لبيك ربَّ غسان راجلها والفرسان » (عن تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٧) . وهذا سطيح الكاهن المشهور فانهُ كان غسانياً الّا انهُ لم يكن نصرانياً وان كان خال نصرانيّ من اهل الحيرة . فهل بعد كلام هؤلاء الأئمة الافاضل مندوحة للاجام والاجام »

فنجيب على الشاهد الاوَّل اي وثنيَّة الحارث ابن ابي شمر الذي اهدى سيفيهِ لبيت الصنم انَّ نصرانيَّة الحارث ثابتة بشواهد متعددة أقدم وأصحّ وأوضح من قول

الطبري لأنَّ المؤرِّخين المعاصرين لهُ او القريبين من عهده من يونان ولاتين وسريان لا يدعون ريباً في نصرانيَّتهِ . وحسبك دليلاً على قولنا انهُ هو المنعوت بالكتابات القديمة بالمُحِبّ للمسيح (اطلب الصفحة ٥٢٣) . لكنَّ هؤلاء الكتبة يجعلونهُ يعقوبيًّا . اما شهادة الطبري فليس من شأنها ان تبطل أقوال من سبقهُ ولعلَّهُ روى روايةً ضعيفة على علَّاتها او يكون وَهِمَ باحد معابد النصارى فجعلهُ بيت صنم . وفي معجم ياقوت (٤ : ٤٥٣) رواية مخالفة تجعل السيفين في بيت صنم لطي . . وان امكن الكاتب ان يثبت صحَّة هذه الرواية اجبنا انَّ الحارث النصرانيّ أتى بذلك فعلًا ذميماً فنسي شرائع النصرانيَّة او تجاهل بها وذلك ليس بكافٍ ليقال انهُ كان وثنيًّا مع صراحة القائلين بنصرانيتهِ

ثم زاد المباحث « انَّ غسان كانت تعبد مناة » واستند في قولهِ الى معجم ياقوت . فجوابنا على هذا الاعتراض سهل فنقول انَّ غسان في ايَّام وثنيتها عبدت مناة لكنَّها لما تنصَّرت نبذت عبادته . وقد بيَّنَّا انَّ تنصُّرها قد تمَّ منذ القرن الرابع للمسيح

اما الحجَّة الثالثة على وثنية غسان اي وقوفها عند صنمها قائلة : « لبيك ربَّ غسان واجلها والغرسان » فيمكن دحضُها كما دحضنا الحجَّة الثانية اعني بنسبة هذا القول الى عهد وثنيتها قبل تنصُّرها . ولكن يجوز القول ايضاً انَّ هذا النصّ ليس فيهِ أثر للوثنية اذ لا يذكر هنا اليعقوبي صنماً لغسان وانَّما يقول فقط « وكانت تلبية غسَّان لبيك ربَّ غسان واجلها والغرسان » وهو كلام صحيح ودعاء صالح الى إله الحقّ . فقول الكاتب « عند وقوفها عند صنمها » زيادةٌ منهُ

بقي ذكر مناظرنا لسطيح الكاهن الذي قال عنهُ انهُ كان غسانيًّا ولم يكن نصرانيًّا ونحن لا نشاحنهُ بذلك وكلّ عاقل يعلم ما ورد من الخرافات في قصَّة سطيح في كتب العرب . فكان الاولى بصاحب الجدال ألَّا يحتجّ بحجج ضعيفة كهذه سامحهُ الله

ثمَّ انتقل مناظرنا الى بيان امر آخر فقال عن يهوديَّة غسان :

« اما انَّ اليهودية كانت في غسَّان فهذا بيّن من دين السمؤل فانهُ ليس من كاتب او مؤرِّخ او لغويّ ذكر دين السمؤل الَّا وقال عنهُ انهُ يهودي المذهب . . . لا بل ان حضرة الأب تعسَّ يقول بذلك في مجاني الأدب (٣ : ٢١٢ في الحاشية فكيف انتى اليوم عن رأيه — هذا وان اليعقوبي يقول بصريح العبارة (ص ٢٩٨) : وتهوَّد قومٌ من غسَّان »

هذه حجج جناب المناظر في اثبات اليهوديَّة في غسان فنقول اننا لم ننكر ان كتبة

العرب جعلوا السموأل يهودياً بدليل ما اثبتناهُ نحن ايضاً في مجاني الادب وفي شعراء النصرانيَّة فان كنَّا اثبتنا عن رأينا فذلك لأسباب اوضحناها في القسم الاوَّل من مقالتنا والعاقل اذا وجد داعياً لتغيير رأيهِ غيَّرهُ وليس في ذلك ما يشينهُ. ولا حاجة لتكرار ما قلناهُ سابقاً فليراجع.

بقيت الشهادة التي نقلها مناظرنا من تاريخ اليعقوبيّ (ص ٢٩٩) ان قوماً من غسان تهوَّدوا

نجيب أوَّلاً انَّ اليعقوبيّ وحدهُ نسب اليهوديَّة الى قوم من بني غسان امَّا بقيَّة الكتبة فانهم يحصرون اليهودية في قبائل معروفة كقريظة ونضير واهل خيبر وبعض كنانة وبعض كندة والحرث بن كعب

وان اعترض المعترض بالسموأل فقال: أليس السموأل من غسان والكتبة يجعلونهُ يهودياً. أجبنا ان نسبة السموأل الى غسَّان من الامور المشبوه بها ودونك قول كاتب يُعَدُّ قولهُ حجَّة في هذا الباب ألاَ وهو ابو الفرَج الاصبهانيّ صاحب الاغاني قال في نسب السموأل (١٩: ٩٨):

هو السموأل بن غريض بن حياء. ذكر ذلك ابو خليفة عن محمَّد بن سلام والكلبي عن الطوسي وابن حبيب انَّ الناس يدرجون غريضاً من النسب وينسبونهُ الى عاديا جدّه. وقال عمرو بن شبَّة هو السموأل بن عاديا ولم يذكر غريضاً. وحكى عبدالله ابن ابي اسعد عن دارم بن مقال وهو من ولد السموأل انَّ عاديا (هو) بن وقاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء. وهذا عندي محال لأنَّ الأعشى ادرك شريح بن السموأل وادرك الاسلام وعمرو مزيقيا قديم لا يجوز ان يكون بينهُ وبين السموأل ثلاثة آباء. ولا عشرة الَّا اكثر والله اعلم. وقد قيل انَّ أمَّهُ كانت من غسَّان. . . وقيل بل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران (اعني من قريظة ونضير. راجع ايضاً تاريخ ابن خلدون)

فترى ما في هذه الاقوال من التضارب والتباين. وكأني بالمعترض يردف قولهُ بقولهِ: «فمالك اذن لا تسلم بيهودية السموأل» نجيب أنَّا لا نسلم بيهوديتهِ ان كان من غسان لمَّا اذا قيل كما ورد في نص كتاب الاغاني انهُ كان من غير قبائل كقريظة والنضير فانَّا لا نأبى ان نسلم بذلك. وان قال المعترض: فكيف يصحّ اذن قول السموأل عن المسيح:

وفي آخر الازمان جاء مسيحنا فاهدى بني الدنيا سلامَ التكامُلِ

ان كان السموأل يهودياً؟ أجبنا انهُ لمحتمل ان يكون وجد رجلان شاعران باسم

السؤل احدهما من غسان وكان نصرانيًا فيصح نسبة البيت له . والآخر يهودي من بني قريظة او يهود غيرهم (١ ان نسبت اليه القصيدة كان بيتها الاخير مصنوعاً

نجيب ثانيًا انَّ الكتبة العرب (الّا اليعقوبي) ليس فقط لم يذكروا تهوُّد غسان بل ذكروا عنهم أنهم رفضوا اليهودية . قال صاحب الفضل شكري الالوسي البغدادي في كتاب بلوغ الارب في احوال العرب (٢ : ٢٦٢) انَّ تبع الاصغر الحميري لمَّا تهوَّد دعا الى اليهودية غسان فأبوا معتذرين بدخولهم الى النصرانيَّة قال : « وسار (تبع) الى الشام وملوكها غسَّان فاصطدَّ القادة واعتذروا من دخولهم الى النصرانيَّة »

نجيب ثالثًا انهُ لمحتمل ايضًا انَّ اليعقوبي نسب اليهودية الى قوم من غسَّان لانتشار بعض الشيع النصرانيَّة بينهم . وهذه الشيع كالابيونيين (ébionites) والنازاريين (nazaréens) وغيرها كانت من بقايا اليهود الاولين الذين تنصَّروا وحفظوا شيئًا من نواميس موسى وهم الذين خرجوا من أورشليم قبل حصارها في عهد طيطس فعبروا الاردنَّ وانتشروا في بلاد العرب وعُرفوا باليهود المتنصرين (judéo-chrétiens)

وجمل الكلام اننا لا نسلّم بيهودية غسَّان بحصر المعنى وكذلك نقول عن السؤل انهُ ان صحَّت يهوديتهُ لم يكن من غسَّان فيكون البيت الذي رُوي لهُ عن المسيح مصنوع . ما لم يُقَلْ انهُ كان من الشيع التي ذكرناها في جوابنا الاخير فقيل لهُ يهودي بالمعنى المزبور وحينئذٍ يمكن نسبة البيت اليه مع القول بانهُ من غسان

هذا ما سطَّرنا على جناح السرعة بعد تنيُّنا أيامًا من بيروت . وكان بودنا ان نتابع البحث فننتقد بقيَّة ما كتبهُ الناظر البغداديّ في المجلَّة المصريَّة ولعلَّنا نعود الى تمحيص أقوالهِ وبيان ما ورد فيها من الآراء الضعيفة . وكفى اليوم بهذه المقالة الوجيزة شاهدًا على شططهِ

رحلة ابرهيم الحكيم الحلبي الى مصر

مني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

كلٌّ يعلم ما اظهرهُ الروم الملكيُّون الكاثوليك من الشهامة في اواسط القرن الثامن عشرة للدفاع عن ايمانهم بازاء البطريرك سلفستروس التبرصي . ولمَّا طابن هذا تباهم في الدين الكاثوليكي

---

١) ويؤيد ذلك ما ورد في نسخة حضرة الأب انستاس بأن القصيدة للسؤل من بني قريظة